على مثل رأيه من الأمراء فبرأهم. فأمر بضربه فَضُرب هو وأصحابه، وحُبسوا في الخزانة حبس أهل الجرائم، وذلك في ذي الحجة سنة (٧٨٨). ثم أُفرج عنهم في ربيع الأول سنة (٧٩١)، فاستمرّ ابن البرهان مقيماً بالقاهرة على صورة إملاقٍ إلى أن (مات) لأربع بقين من جمادى الأولى سنة ٨٠٨ ثمان وثمانمائة، وحيداً فريداً بحيث لم يحضر فيّ جنازته إلَّا سبعة أنفس لا غير. وكان ذا مروءة علية ونفس أبية، حسن المذاكرة والمحاضرة، عارفاً بأكثر المسائل التي يخالف فيها أهل الظاهر الجمهور، يكثر الانتصار لها، ويستحضر أدلتها. وأملى وهو في الحبس بغير مطالعة مسألة رفع اليدين في السجود، ومسألة وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة، ورسالة في الإمامة. وذلك يدلّ على وفور اطلاعه، (قال ابن حَجَر): وقد جالسته كثيراً، وسمعت من فوائده كثيراً. وكان كثير الإنذار بما حدث بعده من الفتن والشرور، لما جبل عليه من الاطلاع على أحوال الناس، ولا سيما ما حدث من الغلاء والفساد بسبب رخص الفلوس بالقاهرة، بحيث أنه رأى عندي قديماً مرة منها جانباً كثيراً فقال لي: احذر أن تقتنيها فإنها ليست رأس مال، فكان كذلك؛ لأنها كانت في ذلك الوقت يساوي القنطار منها عشرين مثقالاً فأكثر. وصار الأمر في هذا العصر إلى أنها تساوي أربعة مثاقيل، ثم صار تساوي ثلاثة ثم اثنين وربع ونحو ذلك. ثم انعكس الأمر بعد ذلك وصارت من عنده شيء منها اغتبط فيه لما رفعت قيمتها من كلّ رطلٍ إلى اثني عشر، ثم إلى أربعة وعشرين. ثم انعكس الأمر فظهر أنها ليست مالاً يُقتنى لوجود الخلل في قيمتها، وعدم ثباتها على قيمةٍ واحدة. انتهى.

٦٠

(أحمدُ بن مُحمَّد بن أبي بَكْر بن عبد الملك ابن الزَّيْن أحمد بن الجمال مُحمَّد بن الصفيّ مُحمَّد ابن المجد حُسين بن التاج عليْ)

القَسْطَلانيّ الأصل المصريّ الشافعيّ؛ ويُعرف بالقَسْطلانيّ[1]. ولد في ثاني عشر ذي القعدة سنة ٨٥١ إحدى وخمسين وثمانمائة، بمصر، ونشأ بها فحظ القرآن والشاطبيتين ونصف الطيبة الجزرية والوردية في النحو، وتلا بالسبع على السراج عمر بن قاسِم الأنصاري السَّاوي، وبالثلاث إلى (وقال الذين لا يَرْجُون لِقاءنا) على

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ٢/ ١٠٣؛ شذرات الذهب: ٨/ ١٢١؛ كشف الظنون: ٦٩، ١٦٦، ٣٦٦، ١٥٥١، ١٩٦٥؛ إيضاح المكنون: ٢/ ٤٨٤؛ معجم المؤلفين: ٢/ ٨٥؛ الكواكب السائرة: ١/ ١٢٦؛ الأعلام: ١/ ٢٣٢؛ تاريخ آداب اللغة: ٢/ ١٦٥.

الزين عبد الغني الهَيْثَمي، وبالسبع، ثم بالعشر في ختمتين على الشّهاب بن أسد. وأخذ القراءات عن جماعة أيضاً. وأخذ الفقه عن الفخر المقسي تقسيماً، والشهاب العيادي. وقرأ ربع العبادات من «المنهاج»، ومن البيع وغيره من البهجة على الشمس اليامي، وقطعة من «الحاوي» على البرهان، ومن أول حاشية الجلال البكري على المنهاج إلى أثناء النكاح بفوات في أثنائها على مؤلفها. وسمع مواضع في شرح الألفية، وسمع على المليوني، والرضي الأوحاقي، والسخاوي. وسمع صحيح البخاري بتمامه في خمسة مجالس على الشاوي. وقرأ في الفنون على جماعة. ثم حجّ غير مرة وجاور سنة أربع وثمانين، ثم جاور مجاورة أخرى سنة أربع وتسعين، وسمع بها عن جماعة، وجلَس للوعظ بالجامع العمري. وكان يجتمع عنده جمع جمٌّ. ثم جلس بمصر شاهداً رفيقاً لبعض الفضلاء. وبعده انجمع وكتب بخطه لنفسه أشياء، بل جمع في القراءات (العقود السنية في شرح المقدمة الجزرية) في التجويد و(الكنز في وقف حمزة وهشام على الهمز) وشرحاً على (الشاطبية) وصل فيه إلى الإدغام الصغير، زاد فيه زيادات ابن الجزري مع فوائد غريبة لا توجد في شرح غيره. وكتب على الطيبة قطعة مزجاً، وعلى البردة مزجاً أيضاً سماه (مشارق الأنوار المضية في مدح خير البرية) و(تحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاري). ومن مؤلفاته المشهورة «شرح البخاري» المسمى (إرشاد الساري على صحيح البخاري) في أربعة مجلدات، وشرح «صحيح مسلم» مثله، ولم يكمل، و(المواهب اللدنية بالمنح المحمدية). وكان متعففاً، جيد القراءة للقرآن والحديث والخطابة، شجيَّ الصوتِ مشاركاً في الفضائل متواضعاً متودِّداً، لطيفَ العشرة، سريعَ الحركة. كثرت أسقامه، واشتهر بالصلاح والتعفف، على طريق أهل الفلاح، (قال الشيخ جار اللَّه بن فهد): ولما اجتمعت به في الرحلة الأولى أجازني بمؤلفاته ومروياته، وفي الرحلة الثانية عظَّمني واعترف لي بمعرفة فنّي، وتأدب معي، ولم يجلس على مرتبته بحضرتي، فاللَّه يزيد في إكرامه ويبلغه غاية مرامه. قال: ثم بلغني في رحلتي إلى الشام أنه (مات) في ليلة الجمعة سابع المحرم سنة ٩٢٣ ثلاثٍ وعشرين وتسعمائة، وصُلِّي عليه بعد الجمعة بالجامع الأزهر، وَدُفن بالمدرسة جوار منزله، تغمده اللَّه برحمته.

٦١

(أحمدُ بن مُحمَّد بن الحَسَن بن أحمد الحيميّ الكَوْكَباني)[1]

الخطيب البليغ الشاعر. نشأ بكوكبان، وأخذ العلم عن جماعة من أعيان

(١) ترجمته في: هدية العارفين: ١/ ١٧٢؛ إيضاح المكنون: ١/ ٩٠، ٥٠٠؛ معجم المؤلفين: ٢/ ٨٩.